تحالف روما مع اليهود "المكابيين" في إسقاط الدولة السلوقية (175- 64 ق.م.)

Rome joined forces with the Maccabean Jews to bring down the Seleucid state (BC 64 - 175)

د. وفاء الساعدي رزق الله . محاضر بقسم التاريخ بكلية الآداب. جامعة درنة.

Dr: Wafaa A. Rizk Allah. Lecturer, Department of History, College of Arts. Derna University.
Email:wafa.elsaede@omu.edu.ly

تاريخ استلام البحث 2022 / 3 / 21 تاريخ قبول البحث 2022 / 4 / 17

الملخص: قامت الدولة السلوقية على أنقاض إمبراطورية الإسكندر، ومؤسس الدولة السلوقية سلوقس الأول نيكاتور، ووصلت الدولة إلى أوج ازدهارها واتساعها في عهد سلوقس الأول وأنطيوخس الثالث وأنطيوخس الرابع، وظهور روما على مسرح الأحداث قوة جديدة وفعالة في منطقة البحر المتوسط، وأسفرت الصراعات بين الدولة السلوقية واليهود إلى تحالف اليهود مع روما وعقد المعاهدات من أجل القضاء على الدولة السلوقية.

الكلمات المفتاحية: الدولة السلوقية – تحالف روما مع اليهود – عقد المعاهدات.

Abstract: The Seleucid state was established on the ruins of the empire of Alexander, and the founder of the Seleucid state, Seleucus I Nicator, and the state reached the height of its prosperity and expansion during the reigns of Seleucus I, Antiochus III and Antiochus IV, and the emergence of Rome on the scene as a new and effective power in the Mediterranean region, and the conflicts between the Seleucid state and the Jews resulted in The Jews allied themselves with Rome and made treaties in order to eliminate the Seleucid state.

Keywords: the Seleucid state - the alliance of Rome with the Jews - the conclusion of treaties.

المقدّمة:

يمثل فتح الإسكندر الأكبر المقدوني لفينيقيا (سوريا ولبنان وفلسطين) ومصر عام 332 ق.م. نقطة تحول كبرى في تاريخ فينيقيا ومصر، حيث كان ظهور الإسكندر المقدوني إيذانًا ببدء عصر جديد، ومرحلة حضارية جديدة في المنطقة التي مثّلت قبل ظهوره عالمين مختلفين: الأول العالم الشرقي، ويضم أغلب المناطق الآسيوية والأفريقية المتاخمة للبحر المتوسط، وامتدادها نحو الشرق، والثاني غربي يضم مقدونيا وبلاد الإغريق ومستعمراتها على الساحل الغربي لشبه جزيرة آسيا الصغرى، ولم يكن اتجاه الإسكندر نحو الشرق بأمر مستغرب، بل كان متوقعًا حيث كانت الصفة الغالبة على التوجه الجغرافي لبلاد الإغريق هي الاتجاه إلى الشرق، فانتشار الجزر بشكل واضح في حوض بحر إيجة جعل من السهولة بمكان قيام اتصالات بين شبه جزيرة البلقان، وشبه جزيرة آسيا الصغرى، ومن ثم لا يصبح البحر هنا حاجزًا مانعًا بل أداة وصل بين المنطقتين، ولقد جاء الإسكندر المقدوني إلى فينيقيا غازيًا ومحاولًا تحقيق فكرة العالمية التي أرادها بامتزاج الشرق والغرب.

التي لم يؤمن بها قواده، ولم يسع لتحقيقها أي من قواده، ولكنهم جميعًا حاولوا -كل على حدة- أن يؤمنوا لأنفسهم مناطق نفوذ واسعة، وكما يعتبر فتح الإسكندر الأكبر للشرق نقطة تحوّل في تاريخ منطقة البحر المتوسط بأسره، فإن وفاته تعتبر أيضًا عام 323ق.م. نقطة تحوّل أخرى في سير الأحداث التي كان من الممكن أن تحدث لو أن الإسكندر قد قدر له أن يعيش ليحقّق ما كان يطمح إليه من إقامة إمبراطورية عالمية.

كان متوقعًا عقب وفاة الإسكندر 323 ق.م. اجتماع قواد الإسكندر ليبحثوا مشكلة حكم الإمبراطورية المقدونية، وتقاسموا أقاليمها ليحكموها باعتبارهم ولاة من قبل الأسرة المالكة المقدونية، وقد تمخّض صراعهم عن وحدة الإمبراطورية وقيام ثلاث دول هللينستية قوية: البطالمة في مصر، ودولة السلوقيين في سوريا وبابل، والدولة المقدونية، ما يهمنا في هذه الدراسة الدولة السلوقية التي امتدت من بحر إيجة حتى القوقاز إلى الخليج العربي، وكان يوجد بها عدة أجناس، وفي عهد سلوقس المؤسس لهذه الدولة وأنطيوخس الثالث وأنطيوخس الرابع وصلت الإمبراطورية إلى أوج ازدهارها واتساعها، كما خاضت الدولة السلوقية صراعات من أجل جوف سوريا (أو ما يعرف بالمسألة السورية) مع دولة البطالمة.

ومنذ أن ظهرت روما على الساحة السياسية في الشرق الهللينستي وهي تحاول إخضاع الدول الهللينستية للسيطرة عليها بشتى الأساليب والوسائل التي تقربها من هدفها وعلى رأسها سياسة فرّق تسد، ودعمها لليهود المعارضين للسلطة المركزية في الدولة السلوقية.

من هنا جاءت فكرة اختيار دراسة هذا الموضوع، وتكمن أهمية الموضوع لتحقيق مجموعة أهداف يمكن تلخيصها في الآتي:

- تسليط الضوء على فترة مهمة من تاريخ فينيقيا في العصور الكلاسيكية، حينما نجح اليهود المكابيون في إقامة كيان يهودي على جزء من أرض فلسطين عرف باسم الدولة المكابية أو الحشمونية.
- استغلال اليهود المكابيين عوامل الضعف والانقسام بعد وفاة أنطيوخس الرابع (إبيفانيس)، وأوهنت الدولة السلوقية من جهة، وبالاستفادة من جهة أخرى من الدعم السياسي والمعنوي لقوة عظمى تمثّلت آنذاك في إمبراطورية الرومانية، التي بدأت ومنذ أوائل القرن الثاني قبل الميلادي تهيمن على مقدرات عالم البحر المتوسط، وتبسط سيطرتها شيئًا فشيئًا، في غاية العزم والتصميم على ممالك ودوال واحدة تلو الأخرى.
- أي أن الدراسة التزمت المنهج التاريخي التحليلي القائم على تحليل ومقارنة الأحداث التاريخية، قصد الوصول إلى الحقائق التاريخية، وقد قسّمت البحث إلى ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: استعراض مرحلة عصر القوة في الدولة السلوقية.
- المبحث الثاني: تولي أنطيوخس الرابع (إبيفانيس) العرش السلوقي (175 - 163).
- المبحث الثالث: تدخل روما في صراع السلوقيين مع اليهود المكابيين.
- وينتهي البحث بخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، بالإضافة إلى التوصيات وإلى قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: استعراض مرحلة عصر القوة في الدولة السلوقية

إن السياسة التي انتهجها الإسكندر الذي حمل لواء الحضارة الهللينية، واعتبر وارثًا لها هو أول من خرج بالتفكير الإغريقي من حيز البحر المتوسط إلى حيز القارات، أو بعبارة أخرى كان أول من نبه أذهان الإغريق إلى فكرة الإمبراطورية (تارت، 1966: ص8)، وما سيتبعها من السيطرة على العالم المأهول وقتئذ أو المعمور Oikoumene وما فيها من شعوب وعناصر مختلفة، وفتوحاته الواسعة هي أوضح دليل على تبلور هذه الفكرة في ذهنه(Grant, 1982: p.73) ، وهكذا يُلحظ أنه فيما بين القرنين الرابع والثاني(1)تغيّرت الخريطة السياسية القديمة تغيرًا بعيدًا، ففي النصف الثاني من القرن الرابع ظهرت في شرق البحر المتوسط دولة مقدونيا فأخضعت بلاد الإغريق أولًا تحت قيادة الإسكندر الأكبر، فنمت بسرعة مذهلة إلى إمبراطورية عالمية الانتشار، على رقعة كبيرة من العالم المعروف آنذاك، فشملت أجزاء من أوروبا وأفريقيا وآسيا، وبذلك بدأت فترة جديدة في التاريخ عرفت بالعصر الهللينستي، أما في غرب المتوسط فيما بين القرنين الثالث والثاني ظهرت دولة روما التي أخضعت إيطاليا أولًا، ثم بسطت سلطانها على معظم أرجاء البحر المتوسط، غربًا وشرقًا، وقضت على مقدونيا ذاتها.(العبادي، 2002: ص ص7، 41).

وعند وفاة الإسكندر الأكبر في شهر يونيه عام 323 كانت الإمبراطورية المقدونية تشمل بلاد الإغريق ومصر وأغلب آسيا في بحر إيجة حتى البنجاب جنوبي القوقاز وبحر قزوين فيما عدا شمال آسيا الصغرى وأرمينيا والجزيرة العربية، وكان اجتماع قواد الإسكندر في بابل غداة وفاته ليبحثوا مشكلة حكم الإمبراطورية المقدونية، وتقاسموا أقاليمها بين عدد منهم، ليحكموها باعتبارهم ولاة من قبل الأسر المالكة المقدونية (نصحي، 1950: ص ص29، 51)، وهكذا خرجت الإمبراطورية من مؤتمر بابل محتفظة بوحدتها لكنها لم تكن وحدة في الشكل فقط، إذا أنها قسمت بالفعل بين قواد الإسكندر الذين قرروا في مؤتمر بابل تقسيم ولايات الإمبراطورية بينهم، ليحكموها بصفة كونهم ولاة من قبل الأسرة المالكة (حسن، 1991: ص81)، وكان متوقّعًا عقب وفاة الإسكندر أن أغلب أولئك القواد الذين بذلوا جهدًا كبيرًا في الوصول إلى حل لمشكلة ولاية العرش، وتنظيم حكم الإمبراطورية، لن يذهبوا لتولي مهام مناصبهم دون أن تراودهم أطماع شخصية، وإن اختلفت هذه الأطماع سيؤدّي إلى صراع عنيف بينهم (أبوبكر، 1997: ص155)، استمرت أربعين عامًا في سلسلة حروب طويلة تعرف في التاريخ باسم حروب الحلفاء(2).

وقد تمخّض صراعهم عن تفكّك وحدة الإمبراطورية، وقيام ثلاث ممالك هيللينستية قوية: البطالمة في مصر، ودولة السلوقيين في سوريا، وبابل ودولة مقدونيا.(أبوبكر، 1991: ص156)

---

(1) نظرًا لأن أحداث البحث تقع قبل الميلاد، فإن كل التواريخ المذكورة في هذا البحث هي قبل الميلاد (ق.م.) ما لم تتم الإشارة إلى غير ذلك حسب الأحوال.

(2) بخصوص حرب الحلفاء، انظر: الشيخ، حسين، كتاب العصر، (1999)، كتاب العصر الهللينستي، مصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص ص 14- 15.

وما يهمنا في هذا الدولة السلوقية موضوع الدراسة، والجدير بالذكر أنه لم يكن مقدرا للممالك أو الدول التي أسسها خلفاء الإسكندر أن تعمر طويلًا ولا سيّما أنه في حالة اثنين منهما سلوقيا ومصر، ولم يُعن هؤلاء الخلفاء بإقامة دول قومية، وإنما بإقامة أسر حاكمة تستهدف مصالحها الذاتية أوّلًا قبل أي شيء آخر.(حسن، 1991: ص20)

أعلن سلوقس الأول قيام الدولة السلوقية في 312، وذلك بعد أن نجح في استعادة مكانته في بابل، التي تمكّن من انتزاعها من أنتيجونس، وكان هذا الأخير قد فرض سيطرته على هذه الولاية مخالفًا القرارات التي صدرت في مؤتمر بابل عقب وفاة الإسكندر، وهي القرارات التي أسندت مهمة إدارة ولاية بابل إلى سلوقس. (العابد، 1993: ص52).

إذن لم تكن بلاد فينيقيا (سوريا ولبنان وفلسطين) في حوزة سلوقس حين اقتسام الإمبراطورية لأنها ألحقت آنذاك بآسيا الصغرى، لكن بطليموس الأول (3)، تغلب عام 312 بمساعدة سلوقس على أنتخونوس في غزة، وضم فلسطين إلى ولايته مصر، كما استرجع سلوقس في العام نفسه بابل التي كانت قد خسرها، كمل حصل على القسم الشرقي من آسيا الصغرى كلها، بالإضافة إلى فينيقيا من الفرات حتى المتوسط، وأصبحت أنطاكية التي بناها سلوقس على نهر العاص مقر حكومته، أي أن 312 يعتبر عام ميلاد الدولة السلوقية السورية (Jougute, 1978, P17)، وتعتبر سوريا محط أنظار الفاتحين بسبب موقعها الجغرافي الهام (عز الدين، 1988: ص85)، وبذلك أصحبت مملكة سوريا أكبر وأعظم الممالك التي قامت على إنقاذ ممتلكات الإسكندر قوة واتساعًا.

وخاض الملك سلوقس الأول نيكاتور (Seleukosi Nicator) 258- 280 حروبًا استمرت عشر سنين حتى استطاع أن يسيطر على سوريا، وقد وصلت هذه المملكة أو الدولة السلوقية إلى أوج عظمتها في عام 280، وامتدت من بحر إيجة حتى القوقاز إلى الخليج العربي (ميخائيل، 1964: ص463)، وكان يوجد بها عدة أجناس منها المقدوني، والإغريق باعتبارهم طبقة عليا، ثم الفرس والساسانيين، وأهالي أناضوليا من الطبقة الثانية.

أسفرت الصراعات التي قامت بين خلفاء الإسكندر عن وجود ثلاث ممالك على رأسها ثلاث من الحكام الأقوياء، هم: بطليموس ولوسيماخورس وسلوقس (Bevan, 1985: P62)، ويرى المؤرخ أريان (Arrian) أن سلوقس كان أكثر هؤلاء الحكام شبهًا بإسكندر.(Arrian, Vll.22. 5)، الذي نجح في بسط سيطرته على أكبر الممالك من حيث المساحة، وهي مملكة لم يكن يحكمها أحد مثله سوى الإسكندر ذاته، وكانت مملكة سلوقس تمتد من سوريا حتى حدود البنجاب في الشرق، إلا أن سلوقس كانت تراوده الآمال في تحقيق مكاسب في بلاد الإغريق، وأن تكون إمبراطورية الإسكندر كلها من نصيبه.(Dorothy, 1971: P.6-2)

وأما عن موقف بطليموس فإنه سارع إلى امتلاك إقليم جنوب سوريا ما أثار استياء باقي الخلفاء، وقد أبوا عليه جوف سوريا، وعند وضع التسويات التي وضعوها في أعقاب أبسوس**، قرروا حرمانه من هذا الإقليم، وضمها إلى ممتلكات سلوقس، ولكن هذا الأخير لم يشأ الدخول في نزاع مع بطليموس الأول بسبب هذا الإقليم، ولكنه لم يتخلّى عن المطالبة بأحقيّته بإقليم جوف سوريا4.

ولعّل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن بموت سلوقس آخر أفراد الجيل الأول من خلفاء الإسكندر في 280، وظهور الجيل الثاني من أولئك الحلفاء، واستقرّت فكرة دول هللينستية مختلفة على أنقاض الإمبراطورية المقدونية. (Rostovtzeff, 1974: P.1016)

ووجد نوعًا من توازن القوى في العالم الهللينستي الذي أصبح تقسم النفوذ فيه ثلاث دول أو ممالك عظيمة، ولعلّه كان لكل دولة من هذه الدول حاجاتها ومراميها، وكذلك خطّتها ووسائلها بتحقيق ذلك.

عصر الصحوة وصلح أباميا:

شهدت الإمبراطورية السلوقية في عهد أنطيوخس الثالث(187- 223) عصر الصحوة، حيث انتهج أنطيوخس الثالث سياسة توسعية، ما جعل من الدولة السلوقية إمبراطورية مترامية الأطراف، هذه السياسة كانت تقلق روما وتضر بمصالحها في الشرق، لذلك أخذت روما تنتظر إلى مجريات الأحداث في تلك المنطقة الهامة (العابد، 1993: ص92)، وتجدر الإشارة إلى أن الانتصارات التي أحرزها أنطيوخس الثالث فإنه كان لا يزال يشعر بالمرارة من جراء الهزيمة التي ألحقت به في رفح، كما أنه لم

---

(3) مؤسس دولة البطالمة في مصر وشمال شرق أفريقيا (إقليم كورينايكا).

** طرطوس الحالية، تعرف هذه الموقعة بموقعة الملوك، نظرًا لأن المشاركين فيها يحملون لقب ملك.

4 تعرف جوف سوريا: يرى السيد أحمد علي الناصري: لقد كان جوف سوريا Koile Syria (سهل البقاع) أو ولاية سوريا وفينيقيا، وهو الحد الفاصل بين حدود البطالمة جنوبًا وحدود السلوقيين شمالًا، كما حرص السلوقيين على التمسك بمزيد من مناطق بلاد الشام الجبلية والداخلية تأمينًا لطرق القوافل البرية القادمة من موانئ الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية.

ينسَ لمصر مساعدتها لتمرّد أخايوس (Jouguet, 1978 P219)، فقرّر أن يثأر لنفسه بالاستيلاء على جوف سوريا، وقد شجعه على التفكير في هذا الأمر حالة الاسترخاء التي سيطرت على سياسة البطالمة بعد موقعة رفح، وعاد بطليموس الرابع إلى سيرته الأولى فأغرق في اللهو والمجون تاركًا شؤون الدولة في أيدي وزيره سوسيبيوس، واستمر الحال على هذا المنوال حتى وفاة بطليموس الرابع في 203 (نصحي، 1975: ص149)، وآل عرش البطالمة إلى طفل صغير هو بطليموس الخامس، وقد اغتصب الوصاية عليه زمرة فاسدة من رجال البلاط بعد أن دبّروا مقتل الملكة الأم أرسينوي الثالثة، وأدّت سياستهم إلى دفع البلاد إلى حالة من التردّي، مما أدّى إلى إضعاف مصر. (نصحي، 1975: 149)

أثارت سياسة أنطيوخس الثالث وفيليب الخامس –ملك مقدونيا- في شرق البحر المتوسط القلق لدى روما بخاصة ما تمخّضت عنه هذه السياسة من أطماع في الاستيلاء على ممتلكات مصر الخارجية، وقد ساعدت الظروف الداخلية والاضطرابات في مصر، فتقدم أنطيوخس الثالث عام 201 (نصحي، 1975: ص155)، لمتابعة فتح جوف سوريا فيما عرف بالحرب السورية الخامسة حتى غزّة، ويبدو أن المقاومة التي أبدتها غزّة مكّنت سكوباس قائد الجيوش البطلمية من استردادها، وطرد أنطيوخس الثالث من فلسطين حتى منابع نهر الأردن، غير أن أنطيوخس الثالث لم يلبث أن أوقع الهزيمة بسكوباس في موقعة بانيون Panion وطارده حتى صيدا وأرغمه على التسليم عام 199 (بورتر، 1991: ص288)، ثم استرد أورشليم (بيت المقدس)، وبسط سيطرته على كل فلسطين وصحراء سيناء، ولم يوافِ عام 198 حتى فقدت مصر معظم أجزاء جوف سوريا (عبدالحق، 1959: ص250).

إنّ الأوضاع في الساحة الدولية ساعدت أنطيوخس الثالث على تحقيق حلمه في الاستيلاء على جوف سوريا، فقد كانت روما آنذاك غارق في الصراع مع فيليب الخامس –ملك مقدونيا- وهو الصراع الذي بدأ بتدخل روما في منطقة البلقان، الأمر الذي أثار غضب فيليب الخامس لأنه كان يعتبر منطقة البلقان بمثابة منطقة نفوذ لدولته (عبدالحق، 1959: ص251).

وقد بدأ مخاوف روما من ناحية أنطيوخس الثالث عندما بدأت تحركات أنطيوخس الثالث تزعجها وتهدّد أمنها، وكانت روما على يقين من أن خلافاتها من أنطيوخس الثالث لن تُحسم إلّا في ميدان القتال، فأخذت في العمل على توطيد علاقتها بأصدقائها من المنطقة مثل مملكة برجاموم (John, 1994: p.80)، ووصلت المفاوضات بين روما وأنطيوخس الثالث إلى طريق مسدود، وأخذ الجانبان في الاستعداد للحرب، ولم يلبث الموقف أن اشتغل عندما تلقّى أنطيوخس الثالث طلبًا من بعض القرى في بلاد الإغريق للمساعدة في التخلص من نيران الرومان، وأن الإغريق جميعًا على استداد للانطواء تحت لوائه (Bevan, 1985: p.81)، وقد قام الرومان باتخاذ خطوة مضادة حينما أرسلوا قوات إلى آسيا الصغرى لقطع امدادات أنطيوخس الثالث، وقامت أساطيل برجاموم ورودس بنقل القوات الرومانية، وتمكن الأسطول الروماني من إحكام السيطرة على بحر إيجة، وذلك بفضل التسهيلات التي قدّمتها بعض الجزر (Habicht, 1999: p.204)، كما أن حلفاء أنطيوخس الثالث أخذوا يتسربون من حوله، وتعرض قواته لبعض الهزائم، كما تحطّم أسطول من قواته كان يقودها حنا بعل[5]، مما دفع أنطيوخس الثالث إلى طلب الصلح، وعرض على الرومان أن يدفع لهم نفقات الحرب، ولكن الرومان بيتوا النية على تدمير الدولة السلوقية، فرفضوا هذا العرض، وعرض القائد الروماني سكيبو Seepio شروطًا جائرة لم يكن في وسع أنطيوخس الثالث أن يتقبلها مثل الانسحاب الكامل من آسيا الصغرى حتى جبال طوروس (Bevan, 1985: p.106)، أدرك أنطيوخس الثالث أن الحرب واقعة لا محالة، فأخذ يستعد للمواجهة حتى أواسط آسيا، وفي الشرق ترسل ما تستطيع إرساله من رجال وعتاد في طريقهم إلى مسرح العمليات، وكانت قوات أنطيوخس ضعف القوات الرومانية(Bevan, 1985: p.107)، وفي عام 189 التقى الطرفان عند مدينة ماجنسيا Megnesia.

وفي هذه المعركة لقي أنطيوخس الثالث هزيمة ساحقة وهرب إلى ساردیس ثم إلى أباميا Apamia واضطر إلى قبول صلح مهين تمّ توقيعه في عام 188 هو صلح أباميا. (Rostovtzeff, 1941: p.1014).

المبحث الثاني: تولي أنطيوخس الرابع (إبيفانيس) العرش السلوقي Antiochos IV Epiphanes (175 - 163):

بعد وفاة أنطيوخس الثالث تولى العرش ابنه سلوقس الرابع فيلوباتور (175 – 187)، وكان الهم الأكبر لهذا الملك هو توفير مبلغ الغرامة الذي كان على الدولة أن تدفعه للرومان بمقتضى صلح أباميا، وكان على سلوقس الرابع أن يدفع هذه الغرامة الباهظة التي كانت تمثل نزيفًا مستمرًّا لخزانة الدولة، كما أصبح الجيش السلوقي في حالة يرثى لها (العابد، 1993: ص12)، وبعد اغتيال الملك سلوقس الرابع قام الوزير هيليودوروس Heliodoros بإعلان ابن الملك الراحل على البلاد، وكان لا يزال طفلًا صغيرًا، وكان هذا الوزير يسعى من وراء ذلك إلى السيطرة على مقاليد الحكم، وكان الوارث الشرعي للعرش السلوقي هو ديميتريوس الابن الأكبر للملك سلوقس الرابع (Bevan. 1985: P120)، وكان رهينة لدى الرومان، وفي الوقت ذاته كان لدى الرومان رهينة أخرى هو أنطيوخس الرابع شقيق سلوقس الرابع وابن أنطيوخس الثالث، وكان في أثينا عندما ترامت إليه أبناء اغتيال شقيقه، فقرّر أن يأثر هيليودوروس Heliodoros وتوجّه إلى آسيا الصغرى، حيث لقي ترحيبًا من مملكة برجاموم حليفة

5 عندما قضت روما على قرطاجة في عام 146 هرب حنا بعل (هانيبال) إلى سوريا عند أنطيوخس وقاد الأسطول السلوقي ضد روما.

الرومان، وبفضل الدعم الذي قدّمته برجاموم تمكن أنطيوخس الرابع من طرد هيليودوروس، وأعلن نفسه شريكًا في الحكم لابن أخيه الطفل باسم أنطيوخس الرابع (Walkank, 1992: P124).

نشأة أنطيوخس الرابع في روما جعلته يرتبط بصداقات حميمة مع الكثيرين من أبناء العائلات الاستقراطية، وفي عام 173 أرسل أنطيوخس الرابع واحداً من رجالات البلاد إلى روما، وذلك لإظهار ولاء أنطيوخس الرابع للرومان، وإعلان رغبته في الحصول على اعترافهم، وقد استقبل الرومان هذه البعثة استقبالًا طيبًا وتمّ التأكيد على الصداقة التي تربط بين الطرفين(Bevan. 1985: P133)، ولكن من الواضح أن أنطيوخس الرابع لم يكن يحمل في داخله حبًّا للرومان، وشاهدت الدولة السلوقية في عهد أنطيوخس الرابع نهضة قوية في شتى المجالات، وهذا ما دفع الرومان إلى انتهاج سياسة معتدلة تجاه السلوقيين، بحيث أن روما لم تجد سببًا للتدخل في شؤونهم الداخلية، مع أن الوفود ولجان التحقيق الرومانية ترسل إلى أنطاكيا (Rostortzeffe, 1941: P737)، وعقب وفاة بطليموس الخامس –البطلمي- توالت كليوباترا الوصاية على ابنها إلى أن توفيت في عام 176، فكان ذلك إيذانًا بتجديد المشكلة السورية، ولما كان كل من الجانبين قد تمسّك بوجهة نظره فإنه لم يكن هنا من بد الاحتكام إلى السيف لفض هذا النزاع (Bevan, 1985: p.135)، وما كادت تتم استعدادات الفريقين للحرب حتى نشبت الحرب السورية السادسة التي تمخضت عن نتائج خطيرة، فإن أنطيوخس الرابع هزم الجيش البطلمي، وتقدّم إلى منف، حيث أرغب ابن أخته بطليموس السادس على قبول حمايته له، ما دفع الإسكندريين إلى المناداة بأخيه الصغير ملكًا، فزحف أنطيوخس الرابع على الإسكندرية بحجة الدفاع عن حقوق الملك الشرعي (Swain, 1944: P.89).

أنطيوخس الرابع واليهود:

لكنه إزاء صعوبات الحصار وبسبب قلق أنطيوخس الرابع من جراء الاضطرابات التي وقعت في فلسطين.

قرّر أنطيوخس الرابع فك الحصار حول الإسكندرية والعودة إلى بلاده تاركًا حامية في بلوزيون، وبطليموس الصغير ملكًا في الإسكندرية وبطليموس السادس ملكًا في منف، معتمدًا على أن منافسة الأخوين ستمهد له السبيل لغزو مصر مرة ثانية. (Swain, 1944: P.85)، ومن المرجح أن الذي دفعه إلى اتخاذ هذا القرار هي الاضطرابات التي شهدتها فلسطين آنذاك بسبب الصراع بين اليهود المتأغرقين والمتشددين، وقد حاول المعسكر المعادي للدولة السلوقية بزعامة ياسون Jason أن ينتهز فرصة غياب الملك السلوقي في مصر لاستعادة منصب الكاهن الأكبر في أورشليم (بيت المقدس)، وقد شجّعهم على الإقدام على هذا العمل إشاعة بأن أنطيوخس الرابع لقي حتفه في مصر (Tarn, W. 1959: P.213)، ونتيجة لهذه الاضطرابات ترك أنطيوخس الرابع الإسكندرية وذهب إلى فلسطين،حيث انتقم من اليهود ونكّل بهم، واقتحم هيكل أورشليم، وبعد أن فرغ أنطيوخس الرابع من القضاء على اليهود عاد إلى غزو مصر مرة أخرى. (Bevan, 1985: p.135)

وفي الواقع أن السلوقيين على الرغم من حرصهم على نشر الحضارة الإغريقية فإنهم احترموا حضارات الشعوب الأخرى التي عاشت في كنفهم، فلم يعملوا على طمس أو التقليل من قدرها.

ويمكن القول بأن الدولة السلوقية اتّبعت سياسة التسامح مع كافة رعاياها، وتمكّنت من تحقيق نجاح كبير في هذا المجال، إلا أنها خفقت في حالة واحدة وهي حالة اليهود الذين خاضوا صراعًا مريرًا ضد الدولة السلوقية، تجلّى بصورة واضحة في عهد الملك أنطيوخس الرابع.(رستم، 1965: ص ص106- 107)

وفي الواقع أن الصراع لم تكن دوافعه حضارية أو دينية، بل كانت دوافعه سياسية في المقام الأول، وتدخل في إطار النزاع بين السلوقيين ودولة البطالمة في مصر، لأن طائفة من يهود فلسطين كانوا يدينون بالولاء لمصر، بينما شايعت طائفة أخرى سياسة الملك أنطيوخس الرابع. (Bevan, 1985: p.162)

المبحث الثالث: تدخل روما في صراع السلوقيين مع اليهود المكابيين:

لم تقتصر سياسة روما على اتباع أسلوب سياسة فرق تسد Divide et impera بل أخذت تسعى بكل الوسائل المعلنة والخفية إلى تحقيق مطامعها في السيطرة والهيمنة، وتعمل روما بكل عزم وتصميم على إثارة الفوضى في الدولة السلوقية، وذلك من خلال تقديم الدعم المعنوي والسياسي اللامحدود للثائرين، والمتمردين عليها من أي نوع بعقد الاتفاقيات والمعاهدات معهم من دون أن يأبه بحرمة المعاهدات أو الحقوق الشرعية (الزين، 1999: ص ص21- 39)، وفي هذا الصدد أود أن أعطي فكرة عن دور اليهود وتحالفهم مع روما في القضاء على الدولة السلوقية، ظلّ اليهود مثلهم في ذلك مثل الأقوام المحلية، يتمتّعون بحرية كاملة في العبادة طوال فترة حكم البطالمة، وهم وإن كانوا لم يحصلوا على أي نوع من أنواع الاستقلال السياسي إلا أنهم ظلوا محتفظين بكيان تراثي وثقافي واحد، وكان الكاهن الأكبر لمعبد القدس يمثّل الرئيس الروحي للجماعة اليهودية، وهو المسؤول عن جمع الضرائب منهم، وتسليمها إلى مندوب الملك، ولكن الأمر تغيّر بعد ذلك خلال الحكم السلوقي، إذ استجاب عدد كبير من اليهود إلى محاولة السلطة الجديدة للقضاء على العادات المختلفة لدى الشعوب وصهرها جميعًا في بوتقة إغريقية واحدة، بينما

عارض ذلك بشدة قسم آخر منهم لأن هذا يعني ذوبان الكيان اليهودي في كيان سوري فلسطيني واحد، ولكن الخسائر العسكرية للسلوقيين في الشرق وفي آسيا الصغرى دفعت ملكهم سلوقس الرابع (عثمان، د.ت: ص44)، إلى الهجوم على معبد أورشليم، التي أدّت إلى التمرد عندما قرّر الملك السلوقي فرض التقاليد الإغريقية على اليهود بالقوة.(عثمان، د.ت: ص45)

والاضطهاد الديني بهذا المعنى غريب كل الغرابة عن الأفكار الهللينية، كما أن اليهود المتزمتين كانوا خطرًا سياسًّا يهدد الدولة السلوقية (الناصري، 1981: ص262)، ويمكن القول إن أنطيوخس الرابع لم يتدخّل في العقيدة اليهودية ذاتها في بداية الأمر، ولم تكن المسألة اليهودية تشغل باله كثيرًا، فقد سيطرت على اهتمامه القضايا الكبرى مثل غزو مصر، والقضاء على دولة بارثيا في الشرق، ومن ثم فإنه ترك أمر التعامل مع المسألة اليهودية إلى الحاكم المحلي لفلسطين، ولكن اللطمة القاسية التي تلقاها من الرومان في عام 168 حين أجبروه على الخروج من مصر بهذه الطريقة المهينة جعلته يحاول تعويض هذا الموقف في جبهة أخرى ورأى بناء دولة قوية ذات ثقافة واحدة هو الرد الأمثل على الغطرسة الرومانية. (الناصري، 1981: ص262)، وفي عام 167 أرسل أنطيوخس الرابع قائده أبوللونيوس Apollonios إلى أورشليم فهاجمهم في يوم السبت[6]، وتمكن هذا القائد من احتلال المدينة وأقام فيها قلعة جديدة ملأها بالجنود، وتمّت إقامة هيكل إغريقي فوق المذبح في فناء هيكل أورشليم (العابد، 1993: ص126)، هيكل أورشليم يسمى معبد زيوس الأولومبي، الذي يتجسد في شخص الملك أنطيوخس الرابع (العابد، 1993: ص126)، اضطر فريق من اليهود إلى القبول بالأمر الواقع، وبعد وفاة أنطيوخس الرابع وخلفه ابنه الصغير أنطيوخس الخامس تحت وصاية الوزير لوسياس، أرسل السلوقيّون قوة كبيرة استولت على مناطق كثيرة أرغمت الثائرين على الالتجاء إلى أورشليم، وحاصرتهم هناك حصارًا شديدًا، وكاد أمرهم أن ينتهي لو لم يحتدم الصراع على السلطة ووصاية العرش، وهذا ما دفع لوسياس ومليكه الطفل إلى أن يعرض السلام على المحاصرين والسماح لليهود بممارسة طقوسهم الموروثة (Bevan. 1985: P.184)، ولكن الإنقاذ جاء مجدّدًا عندما نسب صراع على العرش السلوقي بين أنطيوخس الخامس وابن عمه ديمتريوس الذي خرج منه منتصرًا (العابد، 1993: ص128)، وعندما أرسل الملك الجديد قائده نيكانور Nikanor على رأس قوة كبيرة للقضاء على الثائرين لقي هذا مصرعه وهزم جيشه، وأحرز يهوذا عام 161 انتصارًا كبيرًا رسّخ زعامته بين بني قومه واتّجهت أفكاره ومشروعاته في المقام الأول إلى النواحي العسكرية والسياسية، لقد كان يدرك صعوبة وحرج موقفه على الصعيد العسكري، وأنه لا قبل له بمحاربة الجيوش السلوقية، إذا ما حزمت أمرها وقرّرت التصدي لهو بكل قوّتها، كما أنه بدأت تراوده فكرة التخلص من الحكم السلوقي، وإنشاء دولة يهودية مستقلة، وبدأ يتطلع إلى حلفاء يشدّون من أزره ويكونون له عونًا من أجل تحقيق تلك الأهداف (الزين، 1999: ص28)، وكان من الواضح بالنسبة له أن البطالمة جيرانه الأقربين كانوا آنذاك عاجزين عن نصرته على السلوقيين، هذا عدا أنهم كانوا يسعون إلى استعادة سيادتهم على فلسطين وجنوب سوريا من جديد، لذلك قرّر أن يتوجه إلى القوى العظمى المهيمنة في ذلك العصر على عالم منطقة البحر المتوسط ألا وهي روما، وكان هو وأنصاره يكنون لها أعظم التقدير (شنودة، 1974: ص165)، وكعادة اليهود على الصيد في الماء العكر، فقد سارع المكابيّون بالاتصال بالرومان، حيث أرسل يهوذا وفدًا إلى روما راجيًا عقد صداقة وتحالف مع الرومان(شنودة، 1974: ص166)، على أمل أن يساعدوه في التخلص من نيران الحكم السلوقي، وعملت روما على بث الطمأنينة في نفوسهم، فوقعت معهم معاهدة تنص على تقديم العون لهم إذا ما تعرّضوا للهجوم من قبل السلطة المركزية ما جعلهم يشعرون بأنهم في مركز القوة.

وفي ظل هكذا واقع استطاع يهوذا المكابي الاستفادة من الظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة السلوقية، وأيضًا سياسة روما الاستعمارية ومطامعها في المنطقة، لذلك تم عقد معاهدة أُسست لتحالف سياسي بين اليهود والرومان الذين رأوا المكابين وسيلة لإضعاف الدولة السلوقية والقضاء عليها في نهاية المطاف. (العابد، 1993: ص129)

وعلى هذا الأساس يرى روستوفتزف، أن روما تحرص دائمًا على منع أي قوة في العالم الهللينستي، أو النهوض من التمزّق والضعف السياسي، لذلك كانت سياسة روما تسعى إلى ضرب الدولة الأقوى بين دول العالم الهللينستي (Rostortzeffe, 1941: P737).

إن سياسة ديميتروس الثاني التي تهدف إلى التدخل في شؤون آسيا الصغرى أدّت إلى تدهور العلاقات بينه وبين مملكة برجاموم، وعلى الصعيد الداخلي جرت سياسة ديميتروس عليه كراهية المحيطين به، ونظر الرومان بكثر من الخوف والريبة إلى تدخل ديميتروس في آسيا الصغرى، وأعاد إلى أذهانهم ذكرى أنطيوخس الثالث (Bevan. 1985: P.209).

وفي ظل هذا الواقع من الصراعات على السلطة في البيت السلوقي هناك سؤال يطرح نفسه هنا: أين روما من كل هذه الأحداث التي تجري في سوريا؟ للإجابة على هذا السؤال أقول أنه أثبتت سياسة روما نجاحها في قلب موازين الأحداث لصالح روما،

[6] - يوم العطلة المقدسة لدى اليهود.

حيث كانت تراقب عن كثب ما يجري من أحداث في الدولة السلوقية، إن اليهود لعبوا دوراً مهماً في مساندة ديميتروس الثاني، إلا أنهم سرعان ما انقلبوا عليه وأيّدوا الملك الجديد في أنطاكيا.
وأخيرًا، انتهت الدولة السلوقية على يد القائد الروماني بومبيوس الذي نجح في إسقاط الدولة السلوقية في عام 64، وتحويلها إلى ولاية رومانية.

الخاتمة:

ومن خلال ما تقدّم يتبيّن أن هناك:
- عوامل أسهمت في بناء الدولة السلوقية واتساعها، وهذا يرجع إلى الملوك الأوائل في بناء الدولة السلوقية.
- أن السياسة التي انتهجها السلوقيين لإدارة الحكومة تختلف جدًّا عن سياسة البطالمة، إذ كان سلوقس الأول على رأي الإسكندر المقدوني في نقل جماعات من الإغريق إلى آسيا الصغرى وتأسيس العديد من المدن الجديدة في آسيا الصغرى وفينيقيا (سوريا) وما بين النهرين وبلاد فارس ومنحها استقلالًا إداريًّا على النمط الإغريقي القديم.
- اتسعت رقعة الإمبراطورية السلوقية مما أدّى إلى ضعف السلطة المركزية في ظل حالة الانقسام التي كانت تعاني منها الدولة السلوقية حينما غرقت الدولة السلوقية في دوامة الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة السلوقية.
- صراع أنطيوخس الرابع مع اليهود وتحالف اليهود مع روما في إسقاط الدولة السلوقية.
- ظهور روما على مسرح الأحداث قوة جديدة في منطقة البحر المتوسط.
- استغلال اليهود عوامل الضعف والانقسام والصراعات التي مزّقت البيت السلوقي.

التوصيات:

أوصي بالاهتمام ومتابعة موضوع هذه الدراسة، وتذليل الصعوبات التي تواجه الباحث في التاريخ القديم.
وفي الختام أدعو الله أن أكون قد أوفيت موضوع الدراسة حقه من البحث والدراسة والإيضاح.

قائمة المصادر والمراجع

أوّلًا: المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم، نجيب ميخائيل، (1964)، مصر والشرق الأدنى القديم، بيروت، دار المعارف.
- أبوبكر، فادية محمد، (1997)، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، العصر البطلمي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- بورتر هارفي، (1991)، موسوعة مختصر التاريخ القديم، القاهرة، مكتبة مدبولي.
- تارت، واو، (1966) الحضارة الهللينستية، (ترجمة: زكي علي)، القاهرة.

شنودة، زكي، (1974)، اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع التوراة كتابهم المقدس، مكتبة النهضة المصرية.

- عثمان، أحمد، تاريخ اليهود، ج2، القاهرة، مكتبة الشروق، (د.ت).
- عبد الحق، سليم عادل، (1959)، (روما والشرق الروماني في العهد الجمهوري حتى نهاية قيصر)، دمشق المطبعة الهاشمية.
- حسن، عاصم أحمد، (1991)، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، القاهرة، غاديكو، ط2.
- العابد، مفيد، (1993)، سوريا في عصر السلوقيين من الإسكندر إلى بومبيوس 333- 64 ق.م.، دمشق.
- رستم، أسد، (1965)، تاريخ اليونان "من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الرومان"، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية.
- الناصري، سيد أحمد علي، (1981)، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر اللهينستي، القاهرة، دار النهضة العربية.
- نصحي، إبراهيم، (1975)، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4.

ثانيًا: الدوريات:

- الزين، محمد (1999)، الحلف المكابي – الرومان، فصل من تاريخ فلسطين في العصر الهللينستي)، في مجلة الدراسات التاريخية، جامعة دمشق، العددان67، 68.
- العبادي، مصطفى (2002)، "نشأة الفكر التاريخي وتطوره عند اليونان"، في مجلة عالم الفكر، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج31، العدد1.
- عز الدين، عبد الحميـــــد، (1988)، "مدينـــة حمص في العهد الروماني"، في مجلة الدراسات التاريخية، دار دمشق، العددان 29، 30.
- نصحي، إبراهيم (1950)، "العلاقات بين مصر والدول الشرقية في العصر الهللينستي"، في المجلة التاريخية المصرية، تصدرها الجمعية المصرية للدراسة التاريخية، القاهرة، مج3، العدد2.

ثالثًا: المصادر والمراجع الأجنبية:

- Arrian. Anab. Vll.22.5.
- Bevan. E. R. (1985). The House of seleucus- vol. 1. Chicago.
- Dorothy. J. (1971). Crawford, Kerkeosiris, Cambridge.
- Grant. Micael, (1982), from Alexander to Hellentic world. London.
- Habicht. Christian, (1999), Athens from Alexander to Antony. Trans, ated by Deborah. L. Schneiner. Harvard university press.
- Jougute. P. (1978). Alexander The Great And The Hellenistic world. Chicago.
- Rostovtzeff. M. (1974). The Social And E Conomic History of The Hellenistic World, Vol.11. oxford.
- Swain. J. W. (1944). Antiochis Epiphames. And Egypt. Classic. Philology.
- Tarn. W. Griffith. G. T. (1959). Hellenstic. Civilization. 3d ed. London.
- Walkank. F. w. (1992). The Hellenistic world. London.
- White borne. John (1994). Cleopatras, London.